شرح قصيدة ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل

نعرض من خلال ما سيأتي أبياتًا من قصيدة ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل مع شرح هذه الأبيات، علمًا أنّ القصيدة التي كتبها الشاعر أبو العلاء المعري تتألف من واحد وأربعين بيتًا وهي منظومة على البحر الطويل، وفيما يأتي شرحها:

- **ألا في سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعل / / / عَفافٌ وإقْدامٌ وحَزْمٌ ونائِلُ**
  أعندي وقد مارسْتُ كلَّ خَفِيّةٍ / / / يُصَدّقُ واشٍ أو يُخَيّبُ سائِلُ

يقول الشاعر أبو العلاء المعري في هذه الأبيات إنّ كل ما يفعله في حياته في سبيل أن يحصل على المجد وفي سبيل أن يبقى ذكره مخلدًا بعد موته، وأنّ الأفعال التي يقوم بها هي العفاف والإقدام على الأمور والحزم في المواقف الصعبة والسعي إلى النوال، ثم يتساءل: هل يُصدّق واش أو كاذب عندي وهل يُخيّب شخص سألني حاجة ما وأنا الرجل الذي مارست كل الأشياء في حياتي وخبرت طبائع الناس جميعًا.

- **أقَلُّ صُدودي أنّني لكَ مُبْغِضٌ / / / وأيْسَرُ هَجْري أنني عنكَ راحلُ**
  إذا هَبّتِ النكْباءُ بيْني وبينَكُمْ / / / فأهْوَنُ شيْءٍ ما تَقولُ العَواذِلُ

يقول أبو العلاء المعري في أبيات غاية في الروعة: إنّ أقل أشكال الصدود عنده هي كره الشخص، وأسهل أشكال الهجران هي الترك والابتعاد، فهو صريح لا يعرف المخادعة والمداهنة، ثم يقول إنّه إذا شبت نيران العداوة بينه وبين من يعاديه فإنّ أقل شيء في هذه العداوة هو ما يأتي من العواذل، والعواذل هم اللائمون، أي أنه لا يهتم للوم اللائمين وهذا من باب الحزم والإقدام أيضًا.

- **تُعَدّ ذُنوبي عندَ قَوْمٍ كثيرَةً / / / ولا ذَنْبَ لي إلاّ العُلى والفواضِلُ**
  كأنّي إذا طُلْتُ الزمانَ وأهْلَهُ / / / رَجَعْتُ وعِنْدي للأنامِ طَوائلُ

يقول أبو العلاء المعري في هذا المقطع إنّ الناس تراه مذنبًا في كثير من الأمور، وهذه الأمور التي تراه الناس مذنبًا فيها هي الأشياء التي ترفعه نحو العلى؛ أي هي الأشياء الفاضلة التي يقوم بها في حياته، ثم يقول: كأنني إذا تفوقت على أهل زماني فإنهم يرون هذا التفوق سرقة منهم، وكأنني أخذت تفوقي من خذلانهم فصار لهم ديون عندي.

- **وقد سارَ ذكْري في البلادِ فمَن لهمْ / / / بإخفاءِ شمسٍ ضَوْؤها مُتكاملُ**
  يُهِمّ الليالي بعضُ ما أنا مُضْمِرٌ / / / ويُثْقِلُ رَضْوَى دونَ ما أنا حامِلُ

يقول الشاعر إنّ ذكره قد طبق الآفاق وذاع صيته في الأمصار لأدبه وحكمته وشعره العظيم الذي كتبه، فمن سوف يستطيع من الناس أن يحجب ضوء الشمس المتكامل، ثم يقول إنّ لياليه مليئة بالهموم التي تأتي من الخفايا التي يكنها في صدره، فالإنسان مهما بلغ ونجح سوف يبقى له همه الذي يعاني منه وحده.

- **وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ / / / لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائلُ**
  وأغدو ولو أنّ الصّباحَ صوارِمٌ / / / وأسْرِي ولو أنّ الظّلامَ جَحافِلُ

يتابع الشاعر حديثه مفتخرًا بنفسه؛ فقال: إنه لو كان في زمانه الأخير ولكنه سوف يأتي بما لم يستطع أحد من الأولين الإتيان بمثله، ثم يقول إنّه يغدو في الصباح مع الصوارم والقواطع ولا يأبه بالمخاطر أبدًا، فالمهم عنده هو المضي نحو الأفضل ونحو أحلامه التي يرسمها لنفسه، ويسري في الليل ولا يخاف غائلة الليل ولا الظلام ولا جحافل الليل.

- **فإن كنْتَ تَبْغي العِزّ فابْغِ تَوَسّطاً / / / فعندَ التّناهي يَقْصُرُ المُتطاوِلُ**
  تَوَقّى البُدورُ النقصَ وهْيَ أهِلّةٌ / / / ويُدْرِكُها النّقْصانُ وهْيَ كواملُ

يختم أبو العلاء المعري قصيدته ببعض الحكم وهذه من عادة العرب، فيقول: إذا كنت تريد أن تصل إلى مكان عظيم ومنزلة رفيعة، فعليك أن تسعى إلى الوسط، فإذا سعيت إلى القمة سوف تشعر ببعض النقص، لأنّ السعي نحو التمام فيه شيء من النقص، وما بعد القمة إلّا النزول، ثم يأتي بتشبيه تمثيلي يوضح المقصود من البيت السابق، فيقول: إنّ القمر يسعى إلى النقص عندما يكون مكتملًا ويدرك الكمال عندما يكون ناقصًا.